مركز شؤون المرأة - غزة
Women's Affairs Center - Gaza

وُلدت دلال كفيفة وتعاني من مرض السكري، ولكنها عاشت حياة بسيطة قبل الحرب، مليئة بالأمان والدفء

> بدأت معاناة جديدة لدلال، ربما كانت أشد، بسبب الازدحام الكبير للنازحين في المنطقة. تقول دلال: "شعرت أنني تائهة وضائعة وسط الحشود، كما كان لابد لي من التعود على معالم المكان الجديد، والأسوأ كان تعرضي لتنمر الأطفال ودفع الناس لي في الساحات"

دلال تواجه الظلام والنزوح

لم تعلم الشابة دلال البالغة من العمر (19 عاماً)، أن الظلام سيداهم حياتها مرتين، مرة عندما وُلدت كفيفةً، ومرة عندما انقلبت حياتها رأساً على عقب بفعل الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة وتحديداً في السادس عشر من أكتوبر 2023، يوم أن نزحت من منزلها في شارع المنصورة في حي الشجاعية شرق مدينة غزة.

وُلدت دلال كفيفة وتعاني مرض السكري، لكنها كانت متعايشة مع وضعها وعاشت حياة بسيطة قبل الحرب، مليئة بالأمان والدفء بين أفراد عائلتها المكونة من (9) أشخاص. كانت تذهب إلى مدرستها برفقة أخيها، وتزور أقاربها، وتتنزه، وتخرج إلى البحر، فكانت مفعمة بالحياة رغم تحدياتها، إلا أن هذا الوضع لم يدم طويلًا، وتحولت حياتها إلى حالة معاكسة تمامًا.

عاشت دلال في بيت جميل وملائم لإعاقتها، شكّل عالمها الخاص وجمع أفراد أسرتها في أجواء من الحب والألفة، مانحًا إياها شعورًا بالراحة والاطمئنان. فكانت تحب كل تفاصيله الدقيقة، بدءاً من غرفتها الخاصة وصولًا إلى عتبة منزلها، حيث عاشت دلال محبوبة بين الجميع، فحتى جيرانها كانوا يحبونها ويساعدونها حين تكون بمفردها في الشارع. كما كانت تزور إحدى الجمعيات الخاصة بذوي الإعاقة بانتظام، وتشارك في الرحلات والأنشطة مع زميلاتها، حيث كانوا يقدمون لها المساعدات بين الحين والآخر.

انقلبت حياة دلال ولم تعد كما كانت، ففي 16 أكتوبر 2023 تبدلت حياتها بالكامل، بعد أن وزعت طائرات الاحتلال الإسرائيلي مناشير تحذيرية بضرورة إخلاء منطقة سكنها. قضت ليلة دامية صعبة تحت القصف المتواصل، تقول: "كانت من أصعب الليالي التي مررنا بها، فالقصف كان من كل حدب وصوب، ولم أكن أعلم ماذا يجري حينها، أخبرني أهلي لحظتها أن السماء مضيئة من شدة القصف".

خرجت دلال في الصباح مع عائلتها بصعوبة بالغة، قبل أن يُنصب الحاجز الفاصل بين شمال قطاع غزة وجنوبه. توجهت وعائلتها إلى صالة أفراح في مخيم النصيرات، وسط قطاع غزة، والتي تحولت إلى مأوى للنازحين. مكثوا فيها أسبوعين مليئين بالمعاناة، إذ لم يكن المكان مناسبًا لإعاقة دلال.

وتضيف دلال: "شعرت بالخوف الشديد لأنني كنت في مكان غريب لا أعرف تفاصيله، وكنت أعاني كثيرًا، لكن أصعب أوقاتي كانت عند استخدام المرحاض، إذ كنت بحاجة دائمة إلى مرافق".

لم تقتصر معاناة دلال على عدم ملائمة المكان، فبعد أسبوعين قُصفت صالة مجاورة كانت تؤوي نازحين، وتصاعد القصف في المنطقة. اضطرت دلال وعائلتها في 31 أكتوبر 2023 للنزوح إلى إحدى المدارس التابعة للأونروا في خانيونس، جنوب قطاع غزة.

بدأت معاناة جديدة لدلال، ربما كانت أشد، بسبب الازدحام الكبير للنازحين في المنطقة. تقول دلال: "شعرت أنني تائهة وضائعة وسط الحشود، كما كان لابد لي من التعود على معالم المكان الجديد، والأسوأ كان تعرضي لتنمر الأطفال ودفع الناس لي في الساحات، لذا كنت أضطر لاصطحاب مرافق حتى عند الذهاب إلى المرحاض، وللأسف اضطررت في بعض الأحيان لاستخدام مرحاض الرجال لعدم وجود بدائل".

استمرت معاناة دلال، وأصبحت ضحية جديدة للنزوح، فبعد مرور شهر أبلغهم الاحتلال الإسرائيلي عبر مناشير بضرورة إخلاء المدرسة. انتقلت دلال وعائلتها حينها إلى منزل أقاربهم في الحي السعودي بمدينة رفح، جنوب القطاع، حيث كان المنزل صغيرًا ومكتظًا بالنازحين، إذ كان يضم أكثر من (80) شخصًا.

"كنت أفتقد الخصوصية في منزل أقاربي، علاوة على معاناتي من البرد الشديد بسبب نقص الملابس الشتوية والفراش. كان لدى العائلة فرشتان فقط لتسعة أشخاص، لا تكفي لدرء البرد القارس، إذ خرجنا عند النزوح بلا ملابس أو فراش". تقول دلال.

مكثت دلال وعائلتها حوالي أربعة أشهر، ثم اضطروا للنزوح مجددًا بعد أن طلب منهم جيش الاحتلال الإخلاء مرة أخرى إثر قصف قريب من المنزل. وانتقلت دلال وعائلتها في رحلة نزوح صعبة إلى مدينة دير البلح وسط القطاع، تحديدًا إلى حي البصة غرب المدينة.

نصبت عائلة دلال خيمتها في الحي، وكانت أيامها أصعب من أي وقت مضى، إذ كانت الأرض مليئة بالأشواك، والرمل يغطي المكان، ومع قدوم الصيف انتشرت الحشرات والبعوض، وأصيبت دلال بأمراض جلدية.

تستذكر دلال بخوف: "كنت أخاف من الطائرات المسيّرة التي تحوم قريبًا منا، ويعلو صوتها خصوصًا قرب الخيام، ويزداد خوفي عند رغبتي في الذهاب إلى المرحاض البعيد عدة أمتار عن الخيمة. أما في الشتاء، فكانت مشكلتي أكبر، إذ كانت مياه الأمطار تجرف الخيمة باستمرار. وفي بعض الأحيان تمنيت الموت لأرتاح من هذا العذاب".

كان إعلان الهدنة في يناير 2025، فرصة لدلال لاستعادة نفسها، فعادت إلى منزلها في حي الشجاعية، لكنها صدمت بحال منزلها، حيث تعرض لحريق كامل، فاضطرت العائلة لإصلاحه بشكل مؤقت، وعاشت فيه العائلة لشهرين فقط، حيث تدهورت حياتهم مرة أخرى واستؤنفت الحرب من جديد في الثامن عشر من مارس 2025، واضطروا للنزوح مجدداً ليقطنوا خيمةً قرب مفترق العائلات في حي النصر وسط غزة، لكن الخبر الصادم للعائلة كان بتعرض المنزل للقصف والهدم بالكامل هذه المرة.

تقول دلال:" نزل الخبر كالصاعقة بالنسبة لي، حيث أعيش وعائلتي الآن حالة نزوح مستمرة، بلا مأوى ثابت، ولا أعرف إلى أين ستذهب عائلتي بعد أن طلب صاحب المنزل الذي استأجرته العائلة مؤخراً تركه."

لم تدمر الحرب بيت دلال فقط، بل أخذت منها بعضاً من أفراد عائلتها، ففقدت عمها شهيداً، فيما أصيبت شقيقتها الكبرى في قصف مجاور لمكان نزوحهم في النصيرات، كما فقدت أجهزتها التعليمية الخاصة بها كمكينة البرايل، والآيباد الناطق، والهاتف الذي يحتوي على برامج المساعدة، فشعرت أن حياتها باتت بلا هدف، بلا نشاط، مجرد أيام تمّر مليئة بالقلق والخوف.

"صحتي تدهورت كثيرًا، وأصبح مرض السكري يرهقني أكثر، ولا أجد العلاج المناسب أو محلول الجلوكوز اللازم، فالأدوية في غزة شبه معدومة، كما أعاني من الحساسية بسبب الغبار والدخان الناتج عن الطهي بالحطب، وفي أغلب الأحيان أحصل على طعامي وشرابي بصعوبة عبر التكية".استطردت دلال.

تقول دلال عن أصعب لحظة عاشتها: "عندما قُصف المخيم الذي أسكنه مع عائلتي في حي النصر ودُفنت خيمتنا تحت التراب، شعرت أن النهاية اقتربت. أصبح لدي خوف دائم من القصف، ومن أن أفقد أهلي أو أبتعد عنهم بينما أحتاجهم بجانبي".

وتضيف دلال أن ما تحتاجه اليوم أكثر من أي شيء هو طعام وشراب مناسب لحالتها الصحية، وأجهزة تعليمية خاصة بالمكفوفين مثل: آيباد ناطق، ماكينة برايل، وكتب بلغة برايل، مناشدة المؤسسات الدولية المعنية لمساعدتها في الحصول على احتياجاتها.

واختتمت دلال حديثها قائلة: "أريد أن أقول للعالم شيئًا واحدًا، وهو أنكم خذلتمونا. أمنيتي الوحيدة أن تتوقف الحرب سريعًا، وأن أعود إلى بيتي حتى لو كان مهدومًا، ففيه أشعر بالراحة رغم كل شيء".